مجلة الدراسات الإسلامية - جامعة كابل
Journal of Islamic Studies - Kabul University
رقم تسجيل المجلة: RCTD GIJR - 0015-25 الرقم الدولي: e-ISSN: 3078-6355

JIS Journal Of Islamic Studies Kabul University e-ISSN:3078-6355

https://doi.org/10.62810/jis.v3i1.357

لفظة (تبارَك) المسنَدة إلى الله عز وجل في القرآن الكريم ودلالاتها العقديّة

الباحث:

الدكتور حمزة عبدالله سعادة شواهنة، مدرّس وزارة التربية والتعليم العالي – فلسطين

البريد الالكتروني: hamzahamza١٩٨٥٥@gmail.com

تاريخ المادة:

تاريخ الإرسال: (١٥ محرم ١٤٤٨/ ١٠ السرطان ١٤٠٥)

تاريخ الإصلاح: (٨ صفر ١٤٤٨/ ٣ الأسد ١٤٠٥)

تاريخ القبول: (١٥ صفر ١٤٤٨/ ١١ الأسد ١٤٠٥)

تاريخ النشر: (٠٤ ربيع الثاني ١٤٤٨/ ٢٦ الميزان ١٤٠٥)

الملخص: تتبّعت هذه الدراسة المواضع التي دخلت فيها لفظة (تبارَك) على لفظ الجلالة في القرآن الكريم، كما تناولت معنى تلك اللفظة في كتب اللغة والتفاسير، وتكتسب هذه الدراسة أهميّتها مِن شدّة عناية القرآن الكريم بموضوع البركة، حتى إنّ مادّة بركة تكرّرت في القرآن الكريم اثنتين وثلاثين مرّة، كما جاءت صيغة (تبارَك) في تسعة مواضع منها، وتهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على الدلالات العقديّة لمفردة (تبارَك) في التنزيل العزيز؛ وذلك مِن خلال استكشاف السياقات التي وردت فيها، وتكمن مشكلة البحث في استنباط أبرز القيم العقديّة مِن الآيات المتضمّنة لفعل (تبارَك) المسنَد إلى لفظ الجلالة، وجمَع البحث بين المنهج الاستقرائي والتحليلي والاستنباطي في دراسة هذا الموضوع، وقد توصّل البحث إلى أنّ مفردة (تبارَك) لمْ ترِد في القرآن الكريم إلا منسوبة إلى الله عز وجل، وهذا يدلّ على كمال بركته، كما توصّلت الدراسة إلى تنوُّع أساليب القرآن الكريم في تناوُل صيغة (تبارَك)، فتارة ترِد وصفًا لذات الله عز وجل، وتارة أخرى تدخل على ما يشير إليه عز وجل، حيث جاءت مسنَدة إلى اسم الموصول، كما وردت مرّة واحدة وصفًا لاسمه الشريف، ويوصي البحث بتركيز الدراسات الشرعيّة حول صيَغ قرآنيّة أخرى للبركة، إضافة إلى تتبُّع صيغ البركة في السنّة النبويّة.

الكلمات المفتاحية: تبارَك، التفسير الموضوعي، العقيدة، القرآن، لفظ الجلالة

The Term “Tabaraka” Attributed to God, Exalted and Glorified Be He, in the Holy Quran and Its Doctrinal Implications

ABSTRACT: This study examined the instances in which the word “tabarak” is used in place of the divine name in the Holy Quran, I also discussed the meaning of that term in linguistic texts and commentaries this study derives its, significance from the Holy Quran’s profound emphasis on the subject of blessings In fact the word, “blessing” appears thirty-two times in the Holy Quran, The form “tabarak” also appears in nine places ،including This study aims to shed light on the doctrinal, implications of the term “tabarak” in the Holy Quran, This is done by examining the contexts in which they appear The challenge of this study lies in deriving the, most significant doctrinal values from the verses containing the verb “tabaraka” as it is used in reference to God, The study combined inductive analytical, and deductive approaches in examining this topic The research concluded that the word “tabarak” appears in the Holy Quran only when attributed to God Almighty ،and this is a sign of the fullness of his blessing, The study also found that the Holy Quran employs a variety of styles in its use of the form (tabaraka) At times it contains a description of God Almighty, And at other times, He intervenes in accordance with what He the Almighty, has indicated where it was attributed to, the name of the person in question, his noble name was also mentioned once, The study recommends that future research focus on other Qur’anic expressions of blessing, In addition to tracing the formulas of blessings in the Prophetic Sunnah.

Keywords: Blessed, Doctrine, Der Name Gottes, Objective interpretation, Quran.

المقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خاتَم النبيّين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أمّا بعد:

فإنّ مِن مسائل العلم النافعة التي ينبغي معرفتها موضوع البركة، وقد ورد ذكره صراحةً في مواضع كثيرة مِن الكتاب والسنّة، وإنَّ لمعرفة حقيقتها وسياقاتها أهميّةً كبيرة في حياة المسلم.

ولا يخفى على التالِين عناية القرآن الكريم بموضوع البركة، لا سيّما في القرآن المكّي، ومعلوم أنّ الآيات المكيّة لها اتصال وثيق بغرس العقيدة، وبذلك تصبح البركة مِن القضايا الأساسيّة في حياة المسلم، وممّا يؤكّد أهميّة هذا الموضوع أيضاً أنّ صيغة (تبارَك) لمْ ترِد في القرآن الكريم إلا منسوبة إلى الله عز وجل، أضف إلى ذلك أنّ هذه الصيغة تأتي في ثنايا السور في سياق التذكير بصور عظمة الله عز وجل، وسرد جملة مِن آلائه.

ولمّا كانت الحاجة ماسّة لبحث هذه المسألة؛ لأننا نعيش في زمن قلّت فيه البركة عن المجتمعات البشريّة، جاء هذا البحث الموسوم ب: (لفظة تبارَك المسنَدة إلى الله عز وجل في القرآن الكريم ودلالاتها العقدية)؛ وذلك باستكشاف السياقات التي وردت فيها لفظة (تبارَك)، ثُمّ استنباط أبرز الجوانب العقَدية منها.

أهميّة الدراسة:

تنبثق أهميّة الدراسة مِن الأمور الآتية:

١–كونُها دراسة قرآنيّة على طريقة التفسير الموضوعي، جاءت خدمةً لأشرف كتاب على وجه الأرض، ألَا وهو القرآن الكريم، بحيث تستقرئ النصوص المتعلّقة بالموضوع مع ربطها بالمسائل العقديّة.

٢– عناية القرآن الكريم بموضوع البركة، حتى إنّ غالب الآيات التي ذكرَتها آيات مكيّة، ومعلوم أنّ الآيات المكية تختصّ بتثبيت العقيدة، ومِن ثَمّ فقد أسهمت هذه الدراسة بإضافة ما هو جديد وهامّ إلى ساحة الدراسات القرآنيّة المعاصرة.

سبب اختيار الموضوع:

ثمّة أسباب عديدة دعت إلى اختيار هذا الموضوع، أُجملها في النقاط الآتية:

١– رغبة الباحث في الكتابة في حقل الدراسات القرآنيّة، واتباع أمْر الله عز وجل في تدبُّر آيات القرآن الكريم.

٢– قلّة الدراسات العلميّة المتخصّصة –بحسب اطلاعي– التي تعرّضت إلى صيغ البركة في القرآن الكريم، مع وجود كثير مِن الفوائد التربويّة في دراسة هذا الموضوع.

٣– الحاجة الماسّة لبحث هذا الموضوع؛ لأننا نعيش في زمن قلّت فيه البركة، وهذا يقتضي مِن الباحثين في ظلّ هذه الأزمات العالميّة التي نعيشها أن يعتنوا بدراسة موضوع البركة.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق الآتي:

١– التأصيل لمفردة (تبارَك) في القرآن الكريم؛ وذلك مِن خلال تتبُّع السياقات المتعلّقة بها.

٢- دراسة المواضع التي دخلت فيها صيغة (تبارَك) على لفظ الجلالة في القرآن الكريم.

٣- استكشاف أهمّ القيم التي لها صلة بصفات الله عز وجل مِن الآيات الكريمة التي أوردت فعل (تبارَك).

مشكلة البحث:

هذا وتتمحور مشكلة البحث في السؤال الرئيس الآتي:

ما المواضع التي دخلت فيها لفظة (تبارَك) على لفظ الجلالة في القرآن الكريم؟

ويتفرع عن هذا السؤال ثلاثة أسئلة أساسيّة، يمكن صياغتها على النحو الآتي:

١- ما معنى كلمة (تبارَك) في السياق القرآني؟

٢- ما السياقات التي جاءت فيها لفظة (تبارَك) في النصوص القرآنيّة؟

٣- ما أبرز القيم العقديّة المستنبَطة مِن الآيات التي أوردت فعل (تبارَك) المسنَد إلى لفظ الجلالة؟

الدراسات السابقة وما يضيفه البحث إليها:

بعد البحث الحثيث في الدراسات السابقة، وجدت أنّ أقرب الدراسات السابقة صلة بمحلّ البحث، رسالة ماجستير موسومة ب(مفهوم البركة في القرآن الكريم وانعكاساته في واقع المجتمعات الإسلامية)[١].

حيث تعرّضَت الدراسة السابقة لتعريف البركة، وتتبّعَت المصطلحات ذات الصلة بها في القرآن الكريم، وعدّدت دلالات البركة في مصطلحَي (تبارَك) و(مُبارَك) خاصة، واختتمتِ الدراسة بذكر بركات الأنبياء والقرآن الكريم والأزمنة والأمكنة كما تناولتها النصوص القرآنيّة.

وبعد البحث الحثيث في الدراسات السابقة لمْ يعثر الباحث على أيّ دراسة قرآنيّة منشورة أفردت صيغة (تبارَك) بالبحث –فيما اطلعتُ عليه–، حتى هذه الدراسة المشار إليها، حيث تناولَت بالدراسة أكثر مِن صيغة مِن صيغ البركة، في حين اتجهَت هذه الدراسة –محلّ البحث– إلى تحليل صيغة واحدة مِن صيغ البركة، ألَا وهي صيغة (تبارَك)، لاسيّما مِن ناحية عقديّة، إضافة إلى توسُّع الدراسات السابقة في تناوُل أنواع البركة في القرآن الكريم وغير ذلك مِن مباحثها.

وعلى الرغم مِن التقاء الدراسة المشار إليها بهذه الدراسة –محلّ البحث– في بعض مباحثها، لا سيّما في المطلب الثاني، إلّا أنها تُعدّ دراسة قيّمة في بابها، وقد أفاد منها الباحث، ولذلك فالحاجة ماسّة إلى دراسة أخرى تستوفي دلالات صيغة (تبارَك) خاصة، وهو ما يحاول الباحث بسطه في هذا البحث.

ما يضيفه البحث:

لهذا البحث فروقات عن غيره مِن الدراسات الشبيهة، تكمن في الآتي:

---

١ سيأتي الإشارة إلى هذه الدراسة في حيثيّات البحث.

١- كون هذا البحث دراسة قرآنيّة، اتَّبعتُ فيها منهجَ البحث العلمي وفق طريقة التفسير الموضوعي.

٢- اقتصار هذا البحث على دراسة صيغة واحدة مِن صيغ البركة، ألَا وهي صيغة (تبارك) فحسب.

٣- تركيز هذا البحث على استنباط أبرز الجوانب العقَديّة المستفادة مِن الآيات التي أوردت وصف (تبارَك).

حدود البحث:

يعتمد هذا البحث على دراسة الآيات التي تضمّنت موضوع البركة المسنَدة إلى لفظ الجلالة بصيغة (تبارَك) فحسب دون غيرها مِن صيغ البركة، واستنباط ما فيها من دلالات في العقيدة.

منهج البحث:

طبيعة البحث وأهدافه تتطلّب الجمع بين المنهج الاستقرائي والتحليلي والاستنباطي؛ وذلك بتتبّع النصوص القرآنيّة التي تضمّنتْ فعل (تبارَك) المنسوب إلى الذات العليّة عز وجل في الكتاب الكريم، ثُمّ تفسير تلك الآيات تفسيراً إجماليّاً في الغالب، وصولاً إلى استخلاص أبرز القيم العقديّة منها.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يقسّم إلى مقدّمة، وثلاثة مطالب، وخاتمة، كما يأتي:

المقدّمة: وتضمّنت أهميّة الموضوع، وأسباب اختياره، ومشكلته، وأهدافه، وحدوده، والدراسات السابقة، ومنهجه، وخطّته، وإجراءاته.

المطلب الأول: تعريف لفظة (تبارَك) وورودها في السياق القرآني، وجاء على النحو الآتي:

المطلب الثاني: مواضع لفظة (تبارَك) المسنَدة إلى لفظ الجلالة في آيات القرآن الكريم.

المطلب الثالث: الأبعاد العقديّة المستنبَطة مِن لفظة (تبارَك) المسنَدة إلى لفظ الجلالة.

الخاتمة: واشتملت على أهمّ النتائج والتوصيات التي توصّل إليها البحث.

إجراءات البحث:

سلكتُ في سبيل ذلك الخطوات الآتية:

١- استقراء جميع الآيات التي تناولت لفظة (تبارَك) المسنَدة إلى لفظ الجلالة في القرآن الكريم.

٢- الرجوع إلى أمّهات كتب التفسير، وتفسير الآيات –موضوع الدراسة– فيها تفسيراً إجمالياً، واختيار ما يتناسب منها مع الموضوع.

٣- ضبط الآيات الكريمة برواية حفص عن عاصم، سواء أكانت في متن البحث أم في حواشيه.

٤– عزو الآيات الكريمة إلى مواطنها مِن القرآن الكريم؛ بذكر اسم السورة ورقم الآية عَقِب ورودها مباشرة في متن الصفحة.

٥– إثبات المراجع بشكل تفصيليّ في فهرس المصادر والمراجع فقط.

٦– اتّباع الأسلوب العلمي في توثيق المعلومات، وعزو الأقوال إلى قائليها.

٧– إثبات النتائج والتوصيات التي خلُصت إليها الدراسة.

٨– إثبات ملحق بآيات الدراسة.

المطلب الأول: تعريف لفظة (تبارَك) وورودها في السياق القرآني:

يجدر بنا في هذا المقام قبل أن نستعرض محاور هذا الموضوع، ونشرع بتتبُّع لفظة (تبارَك) المسنَدة إلى الله عز وجل في القرآن الكريم وسياقاتها ودلالاتها العقدية، أن نمهِّد له بهذه التوطئة اليسيرة؛ ببيان المقصود بلفظة (تبارَك)؛ وذلك مِن خلال تأصيل المعنى اللغوي والاصطلاحي لها، ثُمّ نعرّج على استعمالها في التنزيل العزيز، فأقول –واللهُ المستعان– :

الفرع الأول: تعريف (تبارَك):

أولاً: المعنى اللغوي:

(تبارَك) لغةً: فعل ماضٍ على وزن تفاعَل، مشتقّ مِن مادّة البركة– بفتح الراء–، وعند العودة إلى كتب اللغة نستنطقها عن معنى هذه اللفظة، نجدها وردت فيها على معنيين متلازمين:

المعنى الأول: الثبات، حيث جاء تعريفها في (مقاييس اللغة)[١]: (برَك) الباء والراء والكاف أصل واحد، وهو ثبات الشيء، ثُمّ يتفرّع فروعاً يقارب بعضها بعضًا. يقال: برَك البعيرُ يبرُك بُروكًا. والبَرْك يقع على ما بَرَك مِن الجِمال والنُّوق على الماء أو بالفلاة؛ مِن حرّ الشمس أو الشبَع، الواحد بارِك، والأنثى بارِكة، والبَرْك: الإبل الكثيرة تشرب ثُمّ تبرك في العَطَن، لا تكون بَرْكاً إلا كذا، والبِرْكة: ما وَلِي الأرض مِن جلد البطن وما يليه مِن الصدر مِن كلّ دابّة. واشتقاقه مِن مَبرَك الإبل، وهو: الموضع الذي تبرُك فيه، والجمع مَبارِك.

والمعنى الثاني: الزيادة، حيث جاء تعريفها في (جمهرة اللغة):[٢] يُقَال: لا بارك الله فيه، أي: لا نمّاه. وما أبرَك هذا الطّعام، أي: ما أنماه، وطعام بَريك في معنى مُبارَك.

ويتبيّن ممّا سبق أنّ البركة يتمركز معناها اللغوي حول أصلين اثنين هما: النموّ، والثبات في الموضع، ثُمّ اتسع معناها ليشمل الدلالة على ثبات الخير الحسّي والمعنوي.

ثانيًا: المعنى الاصطلاحي:

---

١ محمّد بن أبي بكر بن عبد القادر ابن فارس، ١٩٩٥م، معجم مقاييس اللغة، د. ط، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ١: ٢٢٧ – ٢٢٨.

٢ أبو بكر محمّد بن الحسن ابن دُريد، ١٩٨٧م، جمهرة اللغة، ط :١، بيروت: دار العلم للملايين، ١: ٣٢٥.

عرَّف الراغب البركة بقوله: "البركة: ثبوت الخير الإلهي في الشيء"[١].

مِن هنا يتبيّن أنّه لا خلاف بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للفظة البركة؛ إذ تدور مادّتها في المعنى الاصطلاحي حول معنى دوام الخير، وعادة الأشياء عقلاً ومنطقاً أنها إذا زادت فإنّ ذلك يعني أنها دائمة، ما دامت الزيادة نشطة فيها، وعليه فإنّ الزيادة تترتّب على الثبات[٢].

وهذا المعنى الاصطلاحي مرتبط بمعنى البركة في اللغة، كما يستلزم معنى البركة أيضاً ما يفيضه الله عز وجل علينا مِن إدامة الخيرات والنعم المتكاثرة مِن قِبَله على عظمته وجلاله وكماله، ويوضّح صاحب (التحرير والتنوير) هذا المعنى فيقول: فهذه الصيغة (تبارَك) اطردت في القرآن جارية على إفادة المبالغة في وفرة الخير، وأنّ ما عُدّد مِن نِعم الله تعالى وإفضالِه لا تحيط به العبارة، فعُبّر عنه بهذه المبالغة؛ إذ هي أقصى ما تسمح به اللغة في التعبير؛ لِيعلَم الناس أنهم محقوقون لله عز وجل بشكرٍ يوازي عِظم نعمه عليهم[٣]، وأشار ابن القيّم إلى هذا المعنى، فقال: فتبارُكه عز وجل يجمع هذا كلّه: دوام وجوده، وكثرة خيره ومجده وعلوّه وعظمته وتقدُّسه، ومجيء الخيرات كلّها مِن عنده، وتبريكُه على مَن شاء مِن خلْقه مِن الأنبياء وغيرهم[٤].

الفرع الثاني: لفظة (تبارَك) في ضوء السياق القرآني:

تجدر الإشارة إلى أنّ مادّة (برَك) وردت بصيغ مختلفة في القرآن الكريم في اثنين وثلاثين موضعاً، متوزّعة على اثنتين وعشرين سورة، ويخصّ موضوع البحث منها تسعة مواضع[٥].

وبتتبّعنا لهذه اللفظة ودلالاتها في الاستعمال القرآني، نستخلص بعض الملامح العامّة، منها:

١– جاءت كلمة (تبارَك) في القرآن الكريم كلّه مسنَدة إلى الله عز وجل، فلمْ يوصف بها غيره البتّة؛ وذلك لمَا تحمِله هذه الصيغة مِن دلالة المبالغة في الثناء ما لا توجد في غيرها مِن صيغ البركة، وجاء اللفظ (تبارَك الله) بصيغة جامدة، فلمْ تأتِ مُتبارَك، ولا مُبارَك؛ لأنه لمْ يرد به التوقيف، حيث ينتهي في أسمائه وصفاته إلى حيث ورَد النّص[٦]، مِن هنا يتبيّن أنّ ما شاع في بعض البلاد مِن تسمية الأنثى خاصّة بـ (تبارَك) فأمر لا يجوز؛ كونها صفة مختصّة به الله عز وجل، أَوضح هذا المعنى ابن القيّم بقوله: أفلا ترى كلمة (تبارَك) كيف اطردت في القرآن الكريم، جارية عليه مختصّة به، لا تُطلق على غيره،

---

١ أبو القاسم الحسين بن محمّد الراغب الأصفهاني، ١٤١٢هـ، المفردات في غريب القرآن، ط :١، بيروت: الدار الشامية، ١: ١١٩.

٢ أسامة جمعة الأشقر، ٢٠١٥م، البركة مقوماتها ومنازلها بين مكة وبيت المقدس، ط :١، الأردن: مؤسسة الفرسان، ص: ١٢.

٣ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر ابن عاشور، ١٩٨٤هـ، التحرير والتنوير، د. ط، تونس: الدار التونسية للنشر، ٢٧: ٢٧٧.

٤ محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن القيّم، ١٩٨٧م، جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، ط: ٢، الكويت: دار العروبة، ص: ٣٠٦.

٥ محمد فؤاد عبد الباقي، ٢٠٠٧م، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المعجم الشريف، د. ط، القاهرة، دار الحديث، ص: ١١٨.

٦ الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، ١٤٢٠هـ، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ط: ١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢: ١٩٨.

وجاءت على بناء السعة والمبالغة كتعالَى، وتعاظَم، ونحوهما، فجاء بناء (تبارَك) على بناء (تعالى)، الذي هو دالّ على كمال العلوّ ونهايته، فكذلك (تبارَك) دالّ على كمال بركته وعظمها وسعتها، وهذا معنى تفسير تبارك بتعاظَم[١].

٢- جاء الفعل (تبارَك) في الاستعمال القرآني منسوباً إلى لفظ الجلالة تارة، كما جاء منسوباً إلى اسم الموصول الذي يشير إلى لفظ الجلالة تارة ثانية، ولمْ يرِد منسوباً إلى اسم الربّ إلا مرّة واحدة، وقد تكرّر الأمر ذاته في أدعية الصحابة رضي الله عنهم، كما في دعاء عمر رضي الله عنه، فقد كان يجهر بهؤلاء الكلمات يقول: "سبحانك اللهمّ وبحمدك، تبارك اسمك، وتعالى جَدّك، ولا إله غيرك"[٢]، وهذ كلّه يدلّ على اختصاصه بالله عز وجل، وعليه فلا تُطلب البركة إلا منه وحده؛ فهو أصل البركة ومصدرها.

٣- وردت صيغة (تبارَك) في القرآن الكريم في السور المكيّة، ما خلا سورة مدنيّة واحدة، وهي سورة (الرحمن)، وهذا الطابع الأعمّ لآيات البركة جميعها؛ ولعلّ السرّ في ذلك أنّ الإيمان بأنّ البركة مِن عند الله عز وجل يمهِّد القلوب إلى التعلق به وحده، ومِن ثَمّ تُخلص النفوس له في العبوديّة، وتستسلم لأوامره[٣]، ومعلوم أنّ السور المكيّة هدفت لتثبيت التوحيد في القلوب. وبتأمّل الآيات المتضمِّنة لصيغة (تبارَك) وتفاسيرها[٤]، يتّضح أنّ البركة في مفهوم القرآن الكريم تأتي بمعنى الخير الإلهي الدائم، مع شفْع ذلك الوصف بصفات الكمال تارة، وبالنّعم الحسيّة والمعنويّة تارة أخرى. وهذا يتوافق مع التعريف اللغوي والاصطلاحي للبركة، كما يتوافق مع مفهومها في السنّة النبويّة.

وبهذه التوطئة، أرجو أن أكون قد مهّدتُ الطريق لاستعراض ملامح صيغة (تبارَك) في آيات التنزيل الحكيم، ولله الحمد والمنّة.

المطلب الثاني: مواضع لفظة (تبارَك) المسنَدة إلى لفظ الجلالة في آيات القرآن الكريم:

وردت في القرآن الكريم آيات عديدة تضمّنت لفظة (تبارَك)، وفي هذا المطلب سنستقرئ جميع الآيات التي أُسندت فيها لفظة (تبارَك) إلى الذات العليّة، أو إلى الاسم الشريف، أو إلى ما يشير إلى الله عز وجل؛ لنصل في المجمل إلى دلالاتها العامّة المشتمِلة عليها، وسوف يلاحظها القارئ الكريم في أثناء بسط معانيها.

وسوف نتتبّع مواضع هذه اللفظة القرآنيّة، ونكتفي في هذا المطلب بإيراد بيان إجمالي للآية الكريمة، بما يتجلّى به المراد، ويستبين به المقصود، دون الالتفات إلى خلافات المفسِّرين الواسعة، فليس موضع بسطها مِن ضروريّات هذا

---

١ محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن القيّم، د. ت، بدائع الفوائد، د. ط، بيروت: دار الكتاب العربي، ٢: ١٨٥ – ١٨٦.

٢ مسلم بن الحجاج أبو الحسن القُشيريّ النيسابوريّ، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، رقم الحديث: ٣٩٩، ١: ٢٩٩.

٣ محمد سعيد محمود صباح، ١٤٣٧هـ، مفهوم البركة في القرآن الكريم وانعكاساته في واقع المجتمعات الإسلامية، فلسطين: جامعة القدس، ص: ١٩.

٤ كما سيأتي الحديث عن هذه الآيات بما يتناسب مع ورودها في مواضعها اللاحقة مِن هذا البحث بشيء مِن التحليل.

البحث؛ إذ الهدف منه التركيز على هذه اللفظة، وبعد هذه التوطئة اليسيرة نأتي إلى إيراد مجموع تلك الآيات، ذاكراً إيّاها حسب ترتيب المصحف، وهي على النحو الآتي:

الموضع الأول: ما ورد في سورة الأعراف: حيث أثنى الله عز وجل على ذاته العليّة بعد ذِكر خلْق السموات والأرض، واستوائه على العرش، وتسخير الشمس والقمر والنجوم، وتدبير عالَم الوجود، وتأكيده أنّ الخلق والأمر له وحده، ونحو ذلك مِن أخبار عن عظيم قدرته، وسعة علمه، وإتقان صنعه، فقال ممجِّداً ذاته العليّة على جميل ما خلَق: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[١].

ومعنى قوله عز وجل: ﴿ تَبَارَكَ اللَّهُ﴾ أي: "عظُم وتعالى وكثُر خيره وإحسانه، فتبارَك في نفسه؛ لعظمة أوصافه وكمالها، وبارَك في غيره؛ بإحلال الخير الجزيل والبِرّ الكثير"[٢].

والمقصود مِن هذه الآية تذكير المخاطَبين بما أفاضه عليهم مِن خيرات الإيجاد وبركات الإمداد، وتذكيرهم بمعاني فيوضات ربوبيّته، وإثبات إلهيّته، وعظيم قدرته وإبداعه، وعليه فقد سيق هذا النوع مِن الثناء؛ لتعليم العباد كيف يثنون على ربّهم المتفضِّل عليهم بهذه النعم بأفضل صيغ الثناء، وأحبُّ الثناء إليه هو ما أثناه بنفسه على ذاته المقدَّسة بقول: (تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)؛ وبذلك يتذوّق القلب طعم بركاته عز وجل، ويدلّ على ذلك دعاؤه صلى الله عليه وسلم، كما في حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: "فقدتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة مِن الفراش، فالتمستُه، فوقعتْ يدي على بطن قدميه وهو في المسجد، وهما منصوبتان، وهو يقول: اللهمّ إني أعوذ برضاك مِن سخطك، وبمعافاتك مِن عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك"[٣].

وتضمّنت هذه الآية أنّ مِن وسائل تحصيل البركة صحّة الاعتقاد؛ وذلك أنّ المسلم الحقّ يعتقد أنّ الله عز وجل هو صاحب البركة ومصدرها، ومِن ثَمّ يُخلص له العبودية؛ لعلّه يمنحه مِن منابع بركاته.

ويستفاد مِن هذه الآية أنّ مِن آثار البركة الربانيّة تسخير الله عز وجل للموجودات، فلولا بركته ما تنعّمْنا بآلائه الفائضة، فكلّ بركة وخير ونعمة في الكون فمِن آثار رحمته الواسعة، ولهذا ختَم الله عز وجل الآية بقوله: ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

---

١ سورة الأعراف، رقم الآية: ٥٤.

٢ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السِّعدي، ٢٠٠٠م، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط: ١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ص: ٢٩١.

٣ مسلم، صحيح مسلم، ١: ٣٥٢.

ويعلّل صاحب (التحرير والتنوير) شفْع اسم الجلالة بالوصف وهو (ربّ العالمين)؛ بأنه توضيحٌ لمعنى البيان لاستحقاقه البركة والمجد؛ لأنه مفيض خيرات الإيجاد والإمداد، ومدبّر أحوال الموجودات، بوصف كونه ربّ أنواع المخلوقات[١].

الموضع الثاني: ما ورد في سورة المؤمنون: حيث أثنى الله عز وجل على ذاته الشريفة بالبركة عقِب ذِكره خلق الإنسان في أطواره السبعة، ونحوها مِن بديع قدرته وعظمته في الإيجاد والتصوير للإنسان، فقال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤)﴾[٢].

وتأويل الكلام: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾، أي: فكثُر خيره عز وجل وثبت، وتقدَّس شأنه في علمه الشّامل وقدرته الباهرة، فهو عز وجل أحسن الخالقين على الإطلاق، فقد أتقن كلّ شيء خلَقه، وأحكم كلّ شيء صنَعه[٣].

ويُلحظ أنّ السرّ في الالتفات إلى الاسم الجليل في هذه الآية الكريمة يرجع إلى تربية المهابة، وإدخال الرَّوعة، والإشعار بأنّ ما ذُكر مِن الأفاعيلِ العجيبة والمقدّماتِ المعجزة مِن أحكام الأُلوهيّة، وللإيذان بأنّ حقّ كلّ مَن سمع ما فُصِّل مِن آثار قدرته عزّ وجلّ أو لاحظَه أنْ يُسارعَ إلى التّكلّم به؛ إجلالاً وإعظاماً لشؤونه تعالى[٤]. وعليه فيفهم مِن الآية أنه لا بدّ مِن تربية الخلق على شكر الله عزّ وجلّ على النعم الظاهرة والباطنة مِن خيرات الإيجاد وبركات الإمداد، على الرغم مِن عجزهم عن الثناء عليه حق الثناء؛ لكثرة ما أغدق عليهم مِن نعم، كما قال الله ﷻ: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٥].

الموضع الثالث: ما ورد في سورة الفرقان: جاء الفعل ﴿تَبَارَكَ﴾ في ثلاثة مواضع مِن سورة الفرقان، وهي على النحو الآتي:

الآية الأولى: قوله عز وجل: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾[٦].

حيث بدأت السورة الكريمة بالثناء على الله عزّ وجلّ بهذه الكلمة العظيمة ﴿تَبَارَكَ﴾، مرتّبًا إيّاها على إنزاله لعبده القرآن العظيم؛ وذلك لأنّ إنزال الكتاب العظيم مِن أعظمِ خيراتِه ونعمِه؛ إذ فيه خيرَي الدنيا والآخرة، وهو كتاب تُستخرج

---

١ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٨: ١٧٠.

٢ سورة المؤمنون، رقم الآية: ١٢ – ١٤.

٣ محمّد بن محمّد أبو السعود العمادي، د. ت، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، د. ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٦: ١٢٧.

٤ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ٦: ١٢٧.

٥ سورة النحل، رقم الآية: ١٨.

٦ سورة الفرقان، رقم الآية: ١.

منه البركات، وهذا ما نستشعر مِن وصف الله عزّ وجلّ بالبركة في هذا السياق، وعليه فمَن رام أن تغمره البركات، فعليه بالاشتغال بكتاب الله حفظاً وتدبُّراً وعملاً وتلاوةً واستشفاءً.

وقد أُسندت مادّة بركة إلى القرآن الكريم في مواضع متعدّدة من الكتاب العزيز، كقوله عز وجل: ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾[١]، وقوله عز وجل: ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٢]، وقوله عز وجل: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾[٣]، وقوله عز وجل: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[٤].

يوضّح الرازي مجمل البركة القرآنيّة عند تفسيره لقوله عزّ وجلّ: ﴿وهذا كِتابٌ أَنْزَلْناهُ مُبارَكٌ﴾[٥]، أي: كثير المنافع والفوائد؛ لاشتماله على منافع الدارين، وعلوم الأوّلين والآخِرين، وما لا يتناهى مِن الفوائد، وكتابٌ مباركٌ أي: كثيرٌ خيره، دائمةٌ بركته ومنفعته، يبشّر بالثواب والمغفرة، ويزجر عن القبيح والمعصية، والعلوم إما نظريّة، وإما عمليّة، أمّا العلوم النظريّة فأشرفها وأكملها معرفة ذات الله وصفاته وأفعاله وأحكامه وأسمائه، ولا ترى هذه العلوم أكمل ولا أشرف ممّا تجده في هذا الكتاب، وأمّا العلوم العمليّة فالمطلوب إمّا أعمال الجوارح، وإمّا أعمال القلوب، وهو المسمّى بطهارة الأخلاق، وتزكيةِ النفس، ولا تجد هذين العِلمين مِثل ما تجده في هذا الكتاب، ثُمّ قد جرت سنّة الله عز وجل بأنّ الباحث عنه، والمتمسّكَ به يحصل له عزّ الدنيا، وسعادةُ الآخرة[٦].

وعليه فإنّ بعض التالين والقرّاء والمتسابقين في المحافل القرآنيّة لَيفقدون البركة القرآنيّة في نفوسهم؛ لأنهم انصرفوا إلى العناية بتحسين أصواتهم عن تدبُّر معانيه، وتلوّثت نيّات بعض الناشئة حتى جُعلت سلّماً إلى الجوائز، وتجارة تطلب بها الدنيا، حتى بلغ الأمر إلى أن استُغلّت شهرة بعضهم لتحقيق مآرب سياسيّة، ومديداناً لصراعات النفوذ، ممّا أضعف أثرهم في المجتمع، وتحوّلت نيّات بعض الجهات الداعمة والمنظِّمة للمحافل القرآنيّة خاصة مِن خارج الجهات الشرعيّة والمختصّة واجهة لتجميل واقع سياسي، وغطاء للمظالم والتقاعس عن أداء حقوق الرعيّة، لذا فالقرآن الكريم عزيز، ولن تُنال بركته إلا بتصحيح النيّات لدى القرّاء والمتسابقين والجهات الداعمة والمنظِّمة للمحافل القرآنيّة.

الآية الثانية: قوله عز وجل: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِنْ ذلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُوراً﴾[٧].

---

١ سورة الأنعام، رقم الآية: ٩٢.

٢ سورة الأنعام، رقم الآية: ١٥٥.

٣ سورة الأنبياء، رقم الآية: ٥٠.

٤ سورة ص، رقم الآية: ٢٩.

٥ سورة الأنعام، رقم الآية: ٩٢.

٦ أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر الرازي، ١٤٢٠هـ، مفاتيح الغيب، ط: ٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣: ٦٤.

٧ سورة الفرقان، رقم الآية: ١١.

والمعنى: أنّ الله عز وجل قادر على أن يجعل لنبيّه محمّد صلى الله عليه وسلم أفضل ممّا طلبه الكفار على سبيل التحدي، فيجعل له في الدنيا حدائق كثيرة، وقصورًا مَشِيدة.

والمقصود بهذه الآية الكريمة: تسلية الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم، ولكنّه عز وجل لمْ يشأ البسط للرسول صلى الله عليه وسلم في هذه الدنيا؛ لأن ما ادَّخره له مِن عطاء كريم خيرٌ وأبقى، ولكنّ المشركين لا يدركون المطالب العالية[١].

والمتدبّر في آيات سورة الفرقان، يلحظ أنّ التعبير القرآني أعاد اللفظ الذي ابتدئت به السورة في هذا الموضع ثانية، وهو قوله ﴿ تَبَارَكَ﴾؛ وذلك عَلى طريقة وصْل الكلام، فلمّا أريد الإعراض عن باطل الكفار مِن الشرك والإنكار والطعن في القرآن، والإقبالُ على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم بتثبيته وتثبيت المؤمنين، كرَّره بقوله: ﴿تَبارَكَ الَّذِي إنْ شاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِن ذَلِكَ﴾[٢].

الآية الثالثة: قوله عز وجل: ﴿تَبارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّماءِ بُرُوجاً وَجعل فِيها سِراجاً وَقَمَراً مُنِيراً﴾[٣].

يخبرنا الله عزّ وجلّ في هذه الآيات عن كمال قدرته، جلال شأنه، ويقصّ علينا طرفاً مِن آياته الباهرة، ونعمه الغامرة، وهذا ممّا يدعو المتأمّلين إلى الاستدلال بتلك المخلوقات العجيبة على باريها، ويردّ على جهل الكفار بعظيم شأنه، وإذا كانت هذه هي عظمة المخلوق، فما بالك بعظمة الخالق! فتبارَك الله أحسن الخالقين.

وإنّ المتأمّل في سورة الفرقان يَلحظ أنّ التعبير القرآني أعاد لفظة ﴿تبارك﴾ فيها في ثلاثة مواضع؛ تعظيمًا لذكر الله، ولأنّ ما بعدها عظائم؛ ولمَا جعَله للخلق فيها مِن المنافع، ففي طليعتها ذِكر هذا القرآن، والثاني ذِكر النبيّ، والثالث ذِكر للبروج، فافتُتحت كلّ نعمة كبرى منها بإنشاء الثناء على الله عز وجل بالبركة بـ﴿تَبارَكَ الَّذِي﴾[٤]، ويزيد السعدي الأمر إيضاحاً، فيقول: كرَّر تعالى في هذه السورة الكريمة قوله: ﴿تَبَارَكَ﴾ ثلاث مرّات؛ لأن معناها أنها تدلّ على عظمة الباري، وكثرة أوصافه، وكثرة خيراته وإحسانه. وهذه السورة فيها مِن الاستدلال على عظمته، وسعة سلطانه، ونفوذ مشيئته، وعموم علمه وقدرته، وإحاطة ملكه، وكمال حكمته. وفيها ما يدلّ على سعة رحمته، وواسع جوده، وكثرة خيراته الدينيّة والدنيويّة ما هو مقتضٍ لتكرار هذا الوصف الحسن[٥].

الموضع الرابع: ما ورد في سورة غافر: حيث أثنى الله عز وجل على ذاته المقدَّسة بما يفيد اتصافه بعظيم صفات الكمال، وذلك في ختام سرده دلائل الآفاق، وبدائع صنعه، وجزيل منّه، فقال عزّ وجلّ: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٦١) ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ

---

١ محمد السيّد طنطاوي، ١٩٩٨م، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط: ١، القاهرة: دار نهضة مصر، ١٠: ١٧٦ – ١٧٦.

٢ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ١٨: ٣٣٠.

٣ سورة الفرقان، رقم الآية: ٦١.

٤ محمود بن حمزة بن نصر الكرماني، د. ت، أسرار التكرار في القرآن، د. ط، السعودية: دار الفضيلة، ص: ١٨٨.

٥ السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: ٥٦٨.

شَيْءٍ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٦٢) كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٦٣) اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٦٤)﴾[١].

وإظهار اسم الجلالة ها هنا مع فعل ﴿فَتَبَارَكَ﴾ دون الإتيان بضمير مع تقدُّم اسمه الشريف؛ وذلك لتكون جملة ثناء مستقلّة يثني فيها عز وجل على نفسه بعد جملة الصلة التي جاءت خبرًا عن لفظ الجلالة[٢].

ويُفهم مِن هذا التعبير القرآني في هذه الآيات أنّه ينبغي على المربّي الاهتمام بجانب العقيدة، وتصفية مفهوم التوحيد، والتذكير للمخاطَبين بمعاني ربوبيّة الله عزّ وجلّ لجميع العالَمين، وبإثبات إلهيّته؛ بتكرار صور عظيم قدرة الله وإبداعه؛ للوصول بهم إلى حقيقة الألوهيّة؛ وذلك ليتأمّل الإنسان بعدها لإدراك طرفاً مِن أسرار منابع بركاته عز وجل[٣].

ومعلوم أنّ لفظة ﴿ذَٰلِكُمُ﴾ اسم إشارة للبعيد، وفي هذا السياق تشعر بالدلالة على عظمة الله عزّ وجلّ، وهذا يتناسب مع معنى التعظيم الذي تتضمّنه صيغة ﴿ تَبَارَكَ﴾؛ لذا فإنّ التعبير بهذه اللفظة يهدف للفت أنظار العباد إلى تعظيم المقام الإلهي الرفيع.

وفي إعادة جملة ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ تكرير للتوقيف على خَطَل رأي المشركين في عبادة غير الله عزّ وجلّ على طريقة التعريض[٤].

كما أنّ في الثناء بجملة البركة المذكورة في تذييل الآية، درساً للعباد بأن يتوجّهوا بالشكر إلى الخالق؛ فهو جزيل العطايا، كثير المواهب، مغدِق النِّعم على عباده، خاصّة نعمة الحياة بعد العدم.

الموضع الخامس: ما ورد في سورة الزّخرف: حيث أثنى الله عز وجل على ذاته المقدَّسة بما هو أهله، مِن امتلاكه السماء والأرض وما بينهما، وسعةِ علمه، وانفرادِه بعلم الغيوب، فقال ممجّداً نفسه: ﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٥].

وذُكر ها هنا مع لفظ ﴿تَبَارَكَ﴾ أنَّ لله عز وجل ملك السّموات والأرض؛ لمناسبة المُلك للعظمة وفيضِ الخير، فلا يريبك أنّ وصف ربّ السماوات والأرض مُغْنٍ عن وصف الذي له مُلك السماوات والأرض؛ لأنّ غرض القرآن التذكير، وأغراضُ التذكير تخالف أغراض الاستدلال؛ فإنّ التذكير يلائم التنبيه على مختلف الصفات باختلاف الاعتبارات، والتعرض للاستمداد مِن الفضل[٦].

---

١ سورة غافر، رقم الآية: ٦١ – ٦٤.

٢ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٤: ١٩١ – ١٩٢.

٣ صباح، مفهوم البركة، ٢٥.

٤ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٤: ١٩١.

٥ سورة الزّخرف، رقم الآية: ٨٥.

٦ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٥: ٢٦٩.

الموضع السادس: ما ورد في سورة الرّحمن: جاءت البركة مسنَدة إلى اسم الربّ عز وجل، بعد أن سرد الله عزّ وجلّ عظيم آلائه الفائضة على الأنام، فقال: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[١].

والمقصود بالآية: إجلال الله عزّ وجلّ وإكرامه مِن قِبل خَلقه، فهو أهل أن يُجَلّ فلا يعصى، وأن يُكرم فيُعبد، ويُشكر فلا يُكفر، وأن يُذكر فلا ينسى[٢].

وفي الآية دلالات كثيرة؛ منها:

١. إذا كانت البركة منسوبة إلى الاسم الشريف لله عزّ وجلّ، فما ظنُّك بذاته[٣]؟ فلا شكّ أنها أعظم وأجلّ.

٢. أنّ البركة تحصل لمن ذكَر اسم الربّ الرحيم بعباده، لا سيّما إذا ذكَره مقروناً بذي الجلال والإكرام.

٣. أنّ مِن مقتضى هذه الآية الكريمة أنه يجب أن تُعظَّم أسماء الله الحسنى؛ فإنّ علوّ الاسم يدلّ على علوّ زائد في المسمّى، لذلك تُنال البركة بذكر اسمه، كما قال ابن كثير: "أنّ الاسم معظَّم؛ لتعظيم الذات المقدَّسة"[٤].

٤. في استحضار الجلالة بعنوان (ربّ)، مضافاً إلى ضمير المخاطَب وهو النبيّ صلى الله عليه وسلم؛ إشارة إلى ما في معنى الربّ مِن السيادة المشوبة بالرأفة والتنمية، وإلى ما في الإضافة مِن التنويه بشأن المضاف إليه، وإلى كون النبيّ صلى الله عليه وسلم هو الواسطة في حصول تلك الخيرات[٥].

٥. تشعر المناسبة بين خاتمة السورة الكريمة ومبتداها كأنها مِن باب ردّ العجز على الصدر؛ لأن السورة صُدِّرت بالاسم الكريم: ﴿الرَّحْمَنُ﴾، واختُتمت بقوله: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾، أي: تبارَك هذا الاسم الذي افتَتح به هذه السورة، كأنّه عزّ وجلّ يعلّمهم أنّ هذا كلّه خرج لكم مِن رحمتي ومِن اسم الرحمن، فمدَح اسمه، ثُمّ قال: ﴿ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾، يعني: أنه جليل في ذاته، كريم في أفعاله[٦].

الموضع السابع: ما ورد في افتتاح سورة الملك: لمّا ذكر الله عزّ وجلّ بين ثنايا سورة الملك موضوع الملك المطلق له وحده مع كمال القدرة المطلقة؛ مِن خلال دلالات خَلقه، والنظر في إتقان صُنعه، ابتُدئت السورة بالثناء والعظمة

---

١ سورة الرّحمن، رقم الآية: ٧٨.

٢ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، ١٩٩٩م، تفسير القرآن العظيم، ط: ٢، الرياض: دار طيبة، ٧: ٥١٠.

٣ محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ١٤١٤هـ، فتح القدير، ط: ١، دمشق، دار ابن كثير، ٥: ١٧٣. والرازي، مفاتيح الغيب، ص: ٢٩: ٣٨٣.

٤ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١: ١٢٢.

٥ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٧: ٢٧٧.

٦ محمد أحمد إسماعيل المقدّم، د. ت، تفسير القرآن الكريم، د. ط، قطر: موقع الشبكة الإسلامية، ١٥٢: ١١.

على نفسه، وبتعريف المؤمنين أنه استحقّ أن تبارِكه القلوب قبل الألسن والجوارح، فقال: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُور(٢)﴾[١].

ويلحظ أنّ التعبير القرآني في هذه الآية ومثيلاتها لمْ يقل: (تبارك الله)، وإنما قال: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي﴾ ، فتقديم الموصول بصفة خاصة لله عز وجل –وهي تبارَك– يدلّ على عظمة الموصول، وللإيذانِ بأنّ معنى الصلة ممّا اشتُهر به، فصارت الصلة مُغْنية عن الاسم العلم[٢].

والمتدبّر في آيات القرآن الكريم السابقة المتضمّنة لصيغة ﴿تَبَارَكَ﴾، يَلحظ أنّ التعبير القرآني افتتح سورتين منها بأسلوب التعظيم، هما سورتا الفرقان والمُلك، وذلك بقوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي﴾؛ وفي هذا الافتتاح مِن براعة الاستهلال وحسن الابتداء ما لا يخفى، وقل مِثل ذلك في افتتاح بعض السور بألفاظ التسبيح والحمد.

وبعد التأمّل في آيات القرآن الكريم المتضمّنة لوصف الله عزّ وجلّ بالبركة، نلحظ أنّ التعبير القرآني اشتمل على إيراد الحكمة مِن استحقاقه عزّ وجلّ بالبركة، حيث جاءت لفظة ﴿تَبَارَكَ﴾ في مقام الحديث عن مشاهد مِن آثار قدرته عزّ وجلّ، ودلائل عظمته، ومنتهى كماله، الممزوج بنعمته، بل لا تكاد تُذكَر هذه اللفظة إلّا في هذه المقامات، وفي هذا إشارة إلى أنّ المقصود الأكبر مِن إيرادها ليس مجرّد الإخبار عن عظمة الله عزّ وجلّ فحسب، بل لتفيد أيضاً تعليم الناس كيف يثنون على الله حقّ الثناء؛ إذ هو المستحقّ وحده للتعظيم والتقديس في مِثل هذه المقامات.

وبعد دراسة طائفة مِن الآيات القرآنيّة في هذا المطلب، أحسب أنّ القارئ طوَّف في جنبات بعض آيات البركة في القرآن الكريم، وتعرّف على مواضع جميع الآيات التي دخلت فيها لفظة ﴿تَبَارَكَ﴾ خاصّة على الذات العليّة، أو الاسم الشريف، أو ما يشير إليه عزّ وجلّ، واتضح له أنّ هذه اللفظة تكرّرت في القرآن الكريم كثيراً، حيث بلغت مسنَدة إلى لفظ الجلالة في تسعة مواضع.

فإذا كان ذلك كذلك، فإني أزعم أنّ القارئ قد تشوّقت نفسه؛ لمعرفة أهمّ القيم العقديّة المستنبَطة مِن لفظة ﴿تَبَارَكَ﴾ في تلك المواضع، وهذا هو موضوع المطلب الأخير.

المطلب الثالث: الأبعاد العقديّة المستنبَطة من لفظة (تبارَك) المسنَدة إلى لفظ الجلالة:

بعد استقراء النصوص القرآنيّة التي تضمّنتْ فعل ﴿تَبَارَكَ﴾ المنسوب إلى الله عزّ وجلّ في الكتاب الكريم، فإنه يحسن بالباحث أن يستنبط أهمّ القيم العقديّة التي يمكن أن تُستشفّ مِن خلال الآيات التي وردت في هذا المعنى، ومِن أبرز تلك القيم ما يأتي:

---

١ سورة الملك، رقم الآية: ١ – ٢.

٢ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٩: ٩.

أولاً: تضمُّن آيات البركة جملة مِن أوصاف الكمال لله عز وجل: فإنّ المتأمِّل في آيات لفظة ﴿تَبَارَكَ﴾ المسنَدة إلى لفظ الجلالة المذكورة آنفًا، يجد أنَّ محور تلك الآيات يدور حول صِفات الله العليا، ومَن يدقِّق في تلك الآيات المباركة يجده واضحًا، ومِن تلك الأوصاف بيان تنزُّل القرآن وعظمته، وخَلق العالَمين، وخَلق الإنسان، والانفراد بالمُلك المطلق، وكمال القدرة، وسرد جملة مِن آلائه عزّ وجلّ على عباده؛ وذِكر عجائب صنعه، وبيان سعة علمه، والحديث عن كرمه وجلاله، وتأكيد ربوبيّته وألوهيّته، وهكذا في بقيَّة آيات التبريك المسنَدة إلى الذات العليّة، فكلُّ آية منها تجدها مرتبطة بمدح صِفة مِن الصفات الإلهيّة التي تدلّ على عظمته، وعلوّ شأنه، ورحمته بخَلقه، وإنعامه.

ثانياً: تضمُّن آيات البركة لصفتي الجلال والإكرام: حيث ظهر مِن خلال التأمُّل في آيات مفردة ﴿تَبَارَكَ﴾ المسنَدة إلى لفظ الجلالة، أنّ الثناء على الله عزّ وجلّ بصفتي ﴿الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ورد فيها مرّة واحدة، وذلك في قوله عزّ وجلّ –بعد تعداد النِّعم الأخرويّة–: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[١].

وقد ذُكرت صفة (ذو الجلال والإكرام) مرّتين في القرآن الكريم، وجاءت المرّتان في السورة ذاتها، حيث وردت كذلك في غير آيات البركة نعتاً لوجهه الكريم، في قوله عزّ وجلّ –بعد تعداد النِّعم الدنيويّة–: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[٢]. كما وردت في فضل ذكر هذه الصفة أحاديث صحيحة، منها حديث: "ألِظُّوا بيا ذا الجلال والإكرام"[٣]، ولعلّ السرّ في ندْب المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى الإكثار مِن قول الداعي: (يا ذا الجلال) في ثنايا دعائه، يرجع إلى أنّها سبب في إجابة الدعوات؛ كونها تملئ القلب بتعظيم الله عز وجل وهيبته.

ثالثاً: تذييل آيات البركة بوصف الربوبيّة: فقد تبيّن هذا المعنى مِن خلال التأمُّل في النصوص القرآنيّة المذكورة آنفًا، حيث جاء وصف الله فيها عزّ وجلّ أنّه ربّ العالَمين في موضعين؛ الأول: قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[٤]، والثاني: قوله عزّ وجلّ: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٦١) ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٦٢) كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٦٣) اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا

---

١ سورة الرّحمن، رقم الآية: ٧٨.

٢ سورة الرّحمن، رقم الآية: ٢٧.

٣ أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، رقم الحديث: ٣٩٩، ١: ٢٩٩.

٤ سورة الأعراف، رقم الآية: ٥٤.

وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٦٤)﴾[١]، كما أسندت البركة لاسم الربّ فيها في موضع واحد، وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[٢].

ويعدّ هذا الوصف ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ مِن تمام الإنشاء؛ لأنّ في ذِكر ربوبيّته للعالَمين، وهم: أجناس العقلاء، – ومعلوم أنهم أشرف أجناس الموجودات– استحضاراً لمَا أفاضه عليهم مِن خيرات الإيجاد والإمداد[٣].

وذِكر تباركه عزّ وجلّ في الآيات المتضمّنة لكلمة ﴿تَبَارَكَ﴾ المسنَدة إلى لفظ الجلالة في مقام تقرير ربوبيّته لجميع العالَمين وانفِراده بها؛ بذكر صور تدبيره في خَلقه، ممّا تشخص فيه الأبصار، وتحار فيه الألباب؛ وذلك للبرهان بخَلقه على أمره، ووجوبِ الامتثال لشريعته، ويفهم هذا المعنى مِن إيراد قوله عزّ وجلّ فيها: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾[٤] قبل إنشاء الثناء على الله عزّ وجلّ بوصف الربوبيّة، ويعلِّل ابن عاشور الثناء على الله عزّ وجلّ بربوبيّته للعالَمين في الآيات السابقة ومثيلاتها بقوله: "وإتباع اسم الجلالة بالوصف –كربّ العالَمين ونحوه– في معنى البيان لاستحقاقه البركة والمجد؛ لأنه مفيض خيرات الإيجاد والإمداد، ومدبّر أحوال الموجودات، بوصف كونه ربّ أنواع المخلوقات"[٥].

رابعاً: تذييل آيات البركة بوصف ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾: فإنّ المتدبّر في ختام آيات لفظة ﴿تَبَارَكَ﴾ المسنَدة إلى لفظ الجلالة المذكورة آنفًا، يلحظ مجيء الثناء على الله عزّ وجلّ بوصف أنه ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾، وذلك في قوله عزّ وجلّ: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾[٦]، كما ذُكر هذا الوصف مرّة أخرى في غير آيات البركة في القرآن الكريم، وذلك في قوله عزّ وجلّ: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾[٧].

وتجدر الإشارة هاهنا إلى أنّ المعنى الذي أثبته الله عزّ وجلّ لنفسه فقط خلاف المعنى الذي أثبته لغيره؛ وذلك أنّ الخَلق الذي أثبته الله عزّ وجلّ لنفسه، وللمسيح صلى الله عليه وسلم في الطير، وللكفّار في الإفك، هو غير الخَلق الذي نفاه عنهم وعن جميع الخَلق، فالخَلق الذي أوجبه الله عزّ وجلّ لنفسه، ونفاه عن غيره: هو الاختراع والإبداع وإحداث الشيء مِن لا شيء، ومِن العدم إلى الوجود، وأمّا الخَلق الذي أوجبه الله عزّ وجلّ لبعض خَلقه: فإنما هو

---

١ سورة غافر، رقم الآية: ٦١ – ٦٤.

٢ سورة الرّحمن، رقم الآية: ٧٨.

٣ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢٤: ١٩٢.

٤ سورة الأعراف، رقم الآية: ٥٤.

٥ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٨: ١٧٠.

٦ سورة المؤمنون، رقم الآية: ١٤.

٧ سورة الصافات، رقم الآية: ١٢٥.

ظهور الفعل منهم فقط، تقديراً وتصويراً وصنعاً، دون أن يكون إيجاداً مِن العدم، فخَلق المخلوق لا يكون إلا بالتغيير والتحويل والتصرف في شيء خلقه الله عزّ وجلّ[١].

ويرى ابن القيّم أنّ المقصود ب﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾: "أي: المصوِّرين والمقدِّرين؛ فإنه الخالق الحقيقي المنفرد بالإيجاد والإمداد، وغيرُه إنما يوجِد صُوراً مموَّهة ليس فيها شيء مِن حقيقة الخَلق، مع أنه تعالى خالقُ كلّ صانع وصنعتِه، واللهُ خلَقكم وما تعملون، واللهُ خالقُ كلّ شيء"[٢].

وقد رجّح الطبري تفسير الخالق بالصانع، ورأى أنه الأَولى بالصواب؛ لأن العرب تسمّي كلّ صانع خالقاً[٣].

ويعضِّد ما ذهب إليه الطبري ما جاء في الصحيحين، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: "إنّ الذين يصنعون هذه الصور يعذَّبون يوم القيامة، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم"[٤]، وتسمية الإنسان ههنا خالقاً مجازاً، ومنه تحويل الشيء مِن صفة إلى صفة، كتحويل النجّار أغصان الخشب الى أبواب، لكنّه لمْ يوجِد الخشب ابتداءً.

وفي ختام هذا البحث، أحسب أنّ القارئ طوَّف في جنبات معنى أسلوب ﴿تَبَارَكَ﴾، واستعماله في القرآن الكريم، وتعرّف على المواضع التسعة مِن القرآن الكريم التي ذُكر فيها تبارُك الربّ عز وجل، وتبيَّن له أهمّ أوصاف الكمال والجلال والجمال لله عز وجل التي يمكن أن تُستشفّ مِن خلال الآيات التي وردت في هذا المعنى، وظهر له شيء مِن عظمة ربّنا عز وجل، فمَن تبارَك بذاته، وبارَك مخلوقاته، لَحريّ أن يطاع فلا يخالف، وأن يُذكر فلا ينسى، وأن يُشكر فلا يُكفر.

وبهذا تكون جميع أسئلة الدراسة قد تكاملت إجاباتها، ولمْ يتبقّ إلا إيضاح ما خرجت به مِن نتائج وتوصيات تضمّنتها خاتمة البحث، وهو ما سيجده القارئ في الإيراد الآتي.

الخاتمة:

فإنه بعد دراسة موضوع (لفظة ﴿تَبَارَكَ﴾ المسنَدة إلى الله عز وجل في القرآن الكريم ودلالاتها العقديّة)، وذلك مِن خلال استقراء لعدد كبير مِن الآيات القرآنيّة، يمكِن الخلوص إلى النتائج الآتية:

أولاً: شدّة عناية القرآن الكريم بموضوع البركة، حتى إنّ مـادّة بركـة تكرّرت فـيه اثنتـين وثلاثـين مرّة، وذلك بصيغ مختلفة وسور متعدّدة.

---

١ أبو محمد علي بن أحمد الظاهري ابن حزم، د. ت، الفصل في الملل والأهواء والنحل، د. ط، القاهرة، مكتبة الخانجي، ٢٤: ١٩٢.

٢ محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر العظيم آبادي، ١٤١٥هـ، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم، ط: ٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢: ٣٣٠.

٣ أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، د. ت، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، د.ط، مكة المكرّمة، دار التربية والتراث، ١٩: ١٩.

٤ أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل الجعفي البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه، رقم الحديث ٥٦٠٧، ٥: ٢٢٢٠.

ثانياً: لا خلاف بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للفظة البركة؛ إذ تدور مادّتها حول معنى دوام الخير، وأنّ المعاني اللغوية لكلمة ﴿تَبَارَكَ﴾ ترجع إلى أصلين: أوّلهما: الاتساع، وثانيهما: الثبات.

ثالثاً: كشف البحث أنّ القرآن الكريم يستخدم مفردة ﴿تَبَارَكَ﴾ بمعناها اللغوي، وهو: الدلالة على ثبوت الخير في الشيء ونمائه، مع شفْع ذلك الوصف بصفات الكمال تارة، وبالنّعم تارة أخرى.

رابعاً: جاءت مفردة ﴿تَبَارَكَ﴾ في ثلاثة مواضع مِن سورة (الفرقان)؛ وخُصّت هذه المواضع بالذِّكر؛ لأنّه أُعقبت بذكر خيرات كبرى؛ الأولى: ذِكر القرآن، والثانية: ذِكر النبي، والثالثة: ذِكر عجائب الكون، فافتُتحت كلّ نعمة كبرى منها بإنشاء الثناء على الله عز وجل بالبركة، وهكذا تضمّنت هذه السورة مِن مشاهد الاستدلال على عظمة الله عز وجل، وواسعِ جوده، ما هو مقتضٍ لتكرار هذا الوصف الحسن.

خامساً: تصدير سورة الفرقان بالثناء على الله عز وجل بكلمة ﴿تَبَارَكَ﴾، مرتِّبًا إيّاها على إنزاله القرآن الكريم؛ وذلك لأن إنزال هذا الكتاب مِن أعظمِ خيراتِ الله عز وجل ونعمِه.

سادساً: تنوّعت أساليب القرآن الكريم في تناوُل وصف ﴿تَبَارَكَ﴾، تارة وصفًا لذاته، حيث جاءت مسنَدة إلى الله عز وجل في ثلاثة مواضع، وهي سور: الأعراف، والمؤمنون، وغافر، وتارة أخرى دخلت على ما يشير إليه عز وجل، حيث جاءت مسنَدة إلى اسم الموصول في خمسة مواضع، وهي سور: الفرقان، والمُلك، الزّخرف، كما وردت مرّة واحدة وصفًا لاسمه، وذلك في سورة الرّحمن، وهذا يدلّ على استحقاق كلٍّ مِن ذاته المقدّسة واسمه الشريف للبركة.

سابعاً: أُسندت البركة لاسم الربّ عز وجل كما في ختام سورة الرّحمن؛ وذلك لقصد المبالغة في نعته بصفة البركة على طريقة الكناية، وهذا يشعر أنّ البركة تُنال بذكر اسمه الشريف ﷻ.

ثامناً: افتتاح سورتين بأسلوب التعظيم بصيغة ﴿تَبَارَكَ الَّذِي﴾، وهما سورتا الفرقان والمُلك؛ وفي هذا الافتتاح مِن حسن الابتداء ما لا يخفى.

تاسعاً: إيثار التعبير القرآني في عدد مِن آيات القرآن الكريم المتضمّنة لصيغة ﴿تَبَارَكَ﴾ المسنَدة إلى لفظ الجلالة للفظ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي﴾؛ للدلالة على عظمة الموصول مِن جهة، وللإيذانِ بأنّ الصلة مشتهرة، فصارت مُغْنية عن الاسم العلم.

عاشراً: مجيء تبارُك الله عز وجل عز وجل في جميع المواضع في القرآن الكريم في سياقين متلازمين، الأول: بيان جملة مِن الآلاء المتنوّعة حسيةً كانت أم معنويّة، والثاني: التذكير بمشاهد مِن عظمة الله عز وجل، لذا فإنّ المقصود الأعظم مِن إيراد الآيات التي تضمّنت مفردة ﴿تَبَارَكَ﴾، الإخبار عن عظمة الله عز وجل مِن جهة، ودعوة العباد لشكر ربّ العالَمين مِن جهة أخرى.

أحد عشر: ذِكر تبارُك الله عز وجل في الآيات المتضمّنة لكلمة ﴿تَبَارَكَ﴾ المسنَدة إلى لفظ الجلالة في مقام تقرير ربوبيّته لجميع العالَمين؛ للبرهان بخَلقه على أمره، ووجوبِ الامتثال لشريعته.

اثنا عشر: إنّ صيغة ﴿تَبَارَكَ﴾ لمْ ترد في القرآن الكريم إلا منسوبة إلى الله عز وجل، وهذا يدلّ على كمال بركته عز وجل، لذا فإنّ وصف (تبارَك) مختصّ بالله وحده، وعليه فلا يصحّ أن يوصف به غيره لغةً ولا شرعاً.

ثلاث عشر: أبان البحث أنّ غالب الآيات التي تضمّنت مفردة ﴿تَبَارَكَ﴾ وردت في سور مكيّة، وفي هذا دلالة على اتصالها الوثيق بمجال العقيدة.

أربع عشر: يستفاد مِن آيات التبريك المسنَدة إلى الذات العليّة أنّ مِن وسائل تحصيل البركة صحّة الاعتقاد؛ وذلك أنّ المسلم يعتقد أنّ الله عز وجل هو صاحب البركة ومصدرها، ومِن ثَمّ يُخلص له العبودية؛ لعلّه يمنحه مِن منابع بركاته.

خمس عشر: تضمُّن آيات التبريك المسنَدة إلى الذات العليّة بالثناء على الله عز وجل بجملة مِن أوصافه العظيمة، كصفتي الجلال والإكرام، ووصف ﴿ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، ووصف ﴿ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾، إضافة إلى جملة مِن أوصاف الكمال، وهكذا نجد كلّ آية منها مرتبطة بمدح صِفة مِن الصفات الإلهيّة التي تدلّ على عظمته، وإنعامه، ويأتي هذا الاقتران في سياق تذكير المخاطبِين بما أفاضه الله عز وجل عليهم مِن خيرات الإيجاد والإمداد.

وفي ضوء هذه النتائج، فإنّ الباحث يوصي بما يأتي:

أولاً: إجراء المزيد مِن البحوث العلميّة في تتبُّع المفردات القرآنيّة.

ثانياً: القيام بدراسات موضوعيّة شبيهة؛ لتتبُّع موضوع البركة في السنّة النبويّة، إضافة إلى القيام بدراسة صيغ قرآنيّة أخرى للبركة كاسم المفعول (مُبارَك) ونحوها.

وبعد؛ فهذا ما يسّر الله عز وجل للباحث الوصول إليه في هذه الدراسة، وأسأله سبحانه وتعالى أن يجعلنا مِن المبارَكين، وصلوات الله وسلامُه على أشرف خلْقه وتاج رسُله محمّد وعلى آله وصحبه، والحمد لله ربّ العالَمين.

ملحق ختامي لمواضع (تبارَك) في القرآن الكريم:

الرقم	الآية	السورة ورقم الآية
١	﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.	الأعراف: ٥٤
٢	﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾.	المؤمنون: ١٤
٣	﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾.	الفرقان: ١

٤	﴿تَبارَكَ الَّذِي إِنْ شاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِنْ ذلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُوراً﴾.	الفرقان: ١١
٥	﴿تَبارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّماءِ بُرُوجاً وَجعل فِيها سِراجاً وَقَمَراً مُنِيراً﴾.	الفرقان: ٦١
٦	﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.	غافر: ٦٤
٧	﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.	الزّخرف: ٨٥
٨	﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾.	الرّحمن: ٧٨
٩	﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.	الملك: ١

فهرس المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

- الأشقر، أسامة جمعة، البركة مقوماتها ومنازلها بين مكة وبيت المقدس، ط: ١، الأردن: مؤسسة الفرسان، ، ٢٠١٥م.
- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمّد الراغب: المفردات في غريب القرآن، ط: ١، دمشق، دار القلم، ١٤١٢هـ.
- البخاري، أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل الجعفي: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه، ط: ٣، بيروت، دار ابن كثير، ١٩٨٧م.
- البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، معالم التنزيل في تفسير القرآن، ط: ١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.
- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى، سنن الترمذي، ط: ١، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٧٥م.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل، د. ط، القاهرة، مكتبة الخانجي، د. ت.
- ابن دُريد، أبو بكر محمّد بن الحسن: جمهرة اللغة، ط: ١، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٧م.
- الرازي، أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، ط: ٣، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.
- السِّعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ط: ١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م.

- أبو السعود، محمّد بن محمّد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، د. ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير، ط: ١، دمشق، دار ابن كثير، ١٤١٤هـ.
- صباح، محمد سعيد محمود، مفهوم البركة في القرآن الكريم وانعكاساته في واقع المجتمعات الإسلامية، فلسطين، جامعة القدس، ١٤٣٧هـ.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، د. ط، مكة المكرّمة، دار التربية والتراث، د. ت.
- طنطاوي، محمد السيّد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط: ١، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٩٨م.
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤هـ.
- عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المعجم الشريف، د. ط، القاهرة، دار الحديث، ٢٠٠٧م.
- العظيم آبادي، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم، بيروت، ط: ٢، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.
- ابن فارس، محمّد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، معجم مقاييس اللغة، د. ط، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٥م.
- ابن القيّم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، بدائع الفوائد، بيروت د. ط، دار الكتاب العربي، د. ت.
- ابن القيّم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، ط: ٢، الكويت، دار العروبة، ١٩٨٧م.
- الكرماني، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين، أسرار التكرار في القرآن، د. ط، السعودية، دار الفضيلة، د. ت.
- الكَفَوي، أبو البَقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي، الكليات، د. ط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٨م.
- مسلم، مسلم بن الحَجّاج أبو الحسن القُشَيريّ النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، بيروت، د. ط، دار إحياء التراث العربي، د. ت.
- المقدّم، محمد أحمد إسماعيل، د. ت، تفسير القرآن الكريم، د. ط، قطر: موقع الشبكة الإسلامية.